مقياس مدخل علم الأثار

الدرس العاشر: السجل الحضاري لما قبل التاريخ

أولا- العصر الحجري القديم الأسفل:

*- تمهيد: لقد اختلف الباحثون في المستحثات الإنسانية فيما قبل التاريخ حول، كيف ومتى يمكن انساب بقايا عظمية آدمية الى جنس الانسان فنتج عن ذلك بروز فريقين:

-الأول: يعتمد على الجانب التشريحي وذلك بمحاولة إثبات وجود بعض الخصائص التشريحية التي تميز الانسان الحديث دون ربطها بإمكانياته العقلية هذه المنهجية أدت بعلماء المستحثات الآدمية الى اعتبار بعض البقايا الضئيلة كعناصر أدمية وذلك دون توفير المقاييس التشريحية بل بدون الأخذ بعين الاعتبار الكفئات الإبداعية التي يتصف بها الانسان.

-الثاني: والمتمثل في مختصي علم ما قبل التاريخ يؤكدون على إثبات الكفاءة الفكرية والإبداعية والدليل على ذلك هو العثور الى جانب البقايا العظمية على صناعات حجرية وعظمية شكلت نتيجة تخطيط مشروع صمم في العقل ونفذ باليدين لتلبية حاجيات ملحة وأساسية للعيش والبقاء، تطورت الصناعة الحجرية بتطور الانسان وتعدد أغراضه وحاجاته فكانت البداية عبارة عن صناعة حصوية بسيطة لتصبح في آخر المطاف صناعة معقدة ومتعبة وتعرف ثلاثة مراحل للصناعات الحجرية كبيرة:

1- الباليوليتي(العصر الحجري القديم): ويعني الفترة الحجرية الممتدة من حوالي 2.3 م سنة الى حوالي 12 ألف سنة ق م وأصل التسمية يوناني أي باليو وتعني قديم،وليتوس تعني الحجر.

وهو أقدم العصور الحجرية وأطولها وهو عصر عاش فيه الانسان معتمدا على الصيد ونظرا لزمانه الطويل والخصائص المميزة له قسمه الباحثون الى عدة عصور أصغر هي كالتالي:

أ-الباليوليتي الأسفل: وهو أقدم فترات الصناعات الحجرية وينقسم الى فترتين صغيرتين هما الباليوليتي القديم جدا ويمتد من 2.3 م سنة الى 1.4 م سنة يميز بظهور حضارتين هما الشونغورية نسبة الى سهل شنغوريا بإثيوبيا، والحضارة الألدوانية. أما القديم فيمتد من حوالي 1.3 م سنة الى غاية 0.1 م سنة ظهرت فيه الحضارة الأشولية.

ب-الباليوليتي الأوسط: يمتد من 100 ألف سنة الى 37 ألف سنة في أوروبا ويتواصل الى حوالي 2. ألف سنة في بلاد المغرب ظهرت فيه الحضارة الموستيرية.

ج-الباليوليتي الأعلى: خلال هذه الفترة عرفت الصناعة الحجرية تشعبات وتعقيدات الى درجة تعدد الحضارات في المنطقة الواحدة وفي مدة محدودة،ونشير الى أن الباليوليتي الأعلى عرف التغيرات العينية الأولى حيث بدأ الانسان يعبر عن حياته وانشغالاته اليومية بإنجاز رسوم على الصخور وتشكيل تماثيل صغيرة.

د-ما بعد الباليوليتي: ويسمى بالعصر الحجري القديم المتأخر وهي فترة حضارية لها أهمية معتبرة في بلاد المغرب خلال هذه الفترة نشأت حضارتان أساسيتان هما الايبرومغربية تتمركز في غالب الأحيان على السواحل المتوسطية.والثانية تعرف بالحضارة القفصية تتمركز بالمناطق الداخلية.

2-الميزوليتي(العصر الحجري الوسيط): هي فترة حضارية قصيرة انتقالية تتوسط الباليوليتي والنيوليتي تتميز بصناعة حجرية دقيقة الصنع والشكل هذه الفترة منعدمة في بلاد المغرب.

3-النيوليتي(العصر الحجري الحديث): وهو آخر مرحلة من العصور الحجرية يتصف بعدة خصائص للحضارة الإنسانية حدثت تغيرات جذرية في حياة الانسان ونمط معيشته ومما ساعد على حدوث الثورة النيولتية هو وجود المناخ الأنسب في حدود 12 ألف سنة يتميز بظهور أدوات حجرية جديدة وتقنيات صناعة الأواني الفخارية.

وبانتهاء فترة النيوليتي تنتهي العصور الحجرية ليعرف الانسان بذلك العصور المعدنية.

- **الحضارة الألدوانية: تنسب الى موقع ألدوفاي في تنزانيا (إفريقيا الشرقية) يتواجد هذا موقع بشمال تنزانيا مشكلا سهلا يحتوي على أربعة طبقات ترسبية تكويناتها بحرية ونهرية تفصلها حمم بركانية يميز بين الطبقات وتستعمل كتأريخ مطلق عثر فيها على أشهر البقايا الآدمية المتمثلة في الأسطرالوبتيكوس (الأسترالوبيتاك) تحتل الحضارة الألدوانية الطبقتين 1 و 2 من هذا التكوين الذي يتراوح زمنيا من 1.8 م سنة الى 0.4 م سنة، وتنقسم الصناعة الألدوانية الى مرحلتين كبيرتين هما :

أ-المرحلة الألدوانية القديمة: المكونات الصناعية لهذه المرحلة وجدت في قاعدة الطبقة الأولى والجزء الأسفل من الطبقة الثانية وتقول الباحثة " ليكي " : "أنه لا يلاحظ أي تغيير ملموس في

صناعة المرحلة القديمة للحضارة الألدوانية حيث نجد الحصى المشذب المتعدد الصفحات والشبه كروي والكروي وما قبل الفؤوس اليدوية والأدوات المختلفة".

ب-المرحلة الألدوانية المتطورة: تنقسم بدورها الى مرحلتين صغيرتين هما:

ب-1- الألدواني المتطور أ :تحتل هذه المرحلة المستويين الأسفل والأوسط والأعلى من الطبقة الثانية وتتميز بالخصائص التالية: إنعدام الفؤوس اليدوية الحقيقة وارتفاع نسبة ما قبل افؤوس اليدوية والأدوات المشكلة الى شظايا.

ب-2- الألدواني ب : ينتمي الألدواني ب الى القسمين الأوسط والأعلى من الطبقة الثانية ويتميز بالمكونات الصناعية الآتية: احتوائه على نفس الصناعة المتواجدة في المرحلة أ لكن يلاحظ ارتفاع نسبة المكاشط والمحتات بالاضافة الى قلة الفؤوس اليدوية.

*- الألدواني القديم: هي مرحلة تضم المستويات التالية " غنبوري 1 وكاري وغاربا 4 .

*- الألدواني المتطور: هي مرحلة متطورة من الحضارة الألدوانية تضم المستويين غابا وكالا.

ويلخص الباحث " شفيون " خصائص هاته الحضارة في هذه المنطقة فيما يلي :أهمية عناصر الطرق والأدوات العضوية تتميز بمقاسات متغيرة ووجود الحصى المشذبة المتعدد الصفحات إضافة الى المكونات الصناعية في الحضارة الألدوانية باحتوائها على أقدم البنيات السكنية التي ترشدنا علة نمط حياة الانسان في هذه الفترة.

- **حضارة الحصى المنحوتة: تم العثور على أقدم الأدوات والأسلحة التي صنعها البشر في الكثير من مناطق العالم وخاصة إفريقيا ومن المحتمل أن الانسان القديم كان يستعمل في البداية الحجارة والأغصان الموجودة في الطبيعة ولكنه شعر بالحاجة في وقت ما الى نحت تلك الحجارة وهي عموما في شكل حصى كي تصبح أكثر فعالية وتقوم عملية نزع الزوائد اعتمادا على مراعاة محور واحد أو محورين متقابلين ويحصل الصانع في جميع الحالات على قطع قد لا تكون منتظمة دائما لكنها فعالة وعندما تجري عملية التشذيب باتجاهات عديدة يمكن أن تأخذ الحصى شكلا كرويا متعدد الوجوه ولقد عثر في الجزائر على مثل هذا الحصى خاصة في إقليم قسنطينة وفي صحراء وفي موقع عين الحنش بسطيف على كريات متعددة الوجوه ضمن رسوبات تعود الى أوائل الزمن الرباعي" كواترنير" وعثر المنقبون أيضا في مغارات الساحل الأطلسي المغربي على

حصى منحوتة بينما لم يعثر الى حد الآن على مثل هذا في تونس أما الانسان الذي صنع هذه الحصى فلم يعثر له على أثر لا في المغرب ولا في الصحراء بينما اكتشفت في إفريقيا الجنوبية والشرقية هياكل بشرية صحبة حصى منحوتة.إن أقدم الأشكال التي خلفها البشر نسبت بقاياها الى قرد سمي "أسترالوبتاك" أو قرد الجنوب، ولا تقوم معلوماتنا اليوم على الأدوات التي كان يصنعها ولكن أيضا على هيئة هيكله العظمي وعلى الرغم من صغر حجم جمجمته التي تتراوح ما بين 450 الى 700 سم3 فإن الأسترالوبيتاك ورغم اسمه كان إنسانا يمشي على قدمين لم يكن هذا النوع البشري وحيد الفصيلة إذ نجد بعضا من الأسترالوبيتاك أقوياء وآخرين أضعف منهم ويمكن الإعتقاد هنا أن صانعي أدوات عين الحنش لهم علاقة قرابة ببشر الأسترالوبيتاك الأفارقة.

- **<u>الحضارة الأشولية:</u> تنسب هذه الحضارة الى موقع سانت أشول بالقرب من مدينة أميان في شمال فرنسا حيث أكتشفت الأدوات الأولى المتمثلة في الفؤوس اليدوية أو ذات الوجهين التي تعتبر الميزة الرئيسية لهذه الحضارة وسرعان ما تم اكتشاف الصناعة الأشولية في مناطق عديدة من العالم القديم وخاصة في إفريقيا الشرقية المتوفرة على أقدم موقع للحضارة الأشولية.

ترتبط الصناعة الأشولية بالإنسان المعتدل في غالب الأحيان، بالنسبة الى المغرب تعاصر الحضارة الأشولية الفترتين المناخيتين العامري والتنسفتي، أما في أوروبا فتظهر الحضارة الأشولية مع بداية المرحلة ما بين الجليدية " مندل –ريس " وتستمر الى غاية نهاية مرحلة ريس الجليدية حيث تعرف دورة تطورها خلال ريس 2 و3 . من أهم مميزات هذه الحضارة الفؤوس اليدوية وذات الوجهين ثم الفؤوس الصغيرة لكن في السنين الأخيرة أكتشفت الصناعة الشظوية نسبت الى الأشولية نظرا لمعاصرتها لفترة ريس دون احتوائها على الفؤوس اليدوية مما أدى الى ظهور إشكالية ونقاش بين المختصين حول كيفية اعتبارها صناعة أشولية وفي النهاية استتب الأمر حول إمكانية وجودها في آن واحد صناعة أشولية بفؤوس يدوية ويمكن تقسيم الأدوات الأشولية في الجزائر الى ثلاثة أصناف رئيسية :

1-<u>البفاص (ذو الوجهين):</u> تكون ثلاثية الوجوه وقد تطورت تقنيات الصناعة الحجرية وعرفت تطورا بالنظر الى المرحلة السابقة وهذه الحضارة متمثلة بصورة واضحة وجيدة في الجزائر والمغرب الأقصى أما مواقعها في تونس فهي أقل عددا و تتوزع المحطات الأشولية في الجزائر

من الشرق الى الغرب نذكر من أهمها في الشرق موقع الماء الأبيض بتبسة وفي الجزائر الوسطى بالمدية وفي الغرب الوهراني موقعي بحيرة كرير و أوزيدان قرب تلمسان وكذلك موقع عرق تهودين في الطاسيلي الذي توفر على الآلاف من البفاص والبليطات ونذكر من مواقع المغرب الأقصى مغارات سيدي عبد الرحمن بالغرب من الدار البيضاء ومغارات تيهارت بالقرب من الرباط.

+البفاص: إنها أدوات متنوعة الأشكال ولكن شكلها العمومي مستطيل يمتاز دائما برأس حاد وبحافتين قاطعتين كانت البفاص تصنع من حصاة كاملة أو من شظية كبيرة منفصلة من حصاة ويحصل على الشكل العام للأدوات بواسطة نزع شظاياها الكبيرة من وجهي القطعة ومن هنا سميت بالبفاص. تميزت المرحلة الأشولية الطويلة بتطور في صناعة البفاص التي اتجهت نحو انتقاء كبير أدى الى ايجاد نوازن أحسن في القطعة والى انتظام شديد في حافيتيها الحادتين.

+البوليطات: إذا كانت حافتا البيفاص تتصفان بالتناظر النسبي إزاء محور القطعة فإن البليطة أداة ذات حواف مستعرضة تأخذ اتجاه عمودي على محور القطعة الكبير ومن جهة أخرى فإنه على عكس مواصفات حافتي البيفاص المتحصل عليها بلمسات مقصودة على الجانبين أو جعلهما أحيانا مستقمين بواسطة القاطعة المرنة فإن حافتي البوليطة دواشروم لم ينله تهذيب أبدا.

+ثلاثية الوجوه: إن هذا النوع من الأدوات الأشولية أقل وفرة من البيفاص البوليطات وهي ذات نهاية حادة وقاعدة مثلثة كان صانع ما قبل التاريخ لهذه النهاية يتقنها بواسطة نزع شظايا في ثلاث اتجاهات أو أكثر.

*-الإنسان الآشولي: بالرغم من تعذر العثور الى حد الآن على بقايا الأسترالوبيتاك في بلاد المغرب فإن عددا من مواقع الجزائر والمغرب الأقصى قد كشفت للمهتمين بما قبل التاريخ عن بقايا كائنات بشرية هي لصناع البيفاص البوليطات ولقد أطلق على هؤلاء الأشوليين باسم " أطلنتروب " أي إنسان الأطلس كما احتوت بعض المواقع بالجزائر الوسطى على أدوات أشولية وبقايا بشرية تنسب الى إنسان الأطلس الايطالي وتتكون هذه البقايا من ثلاثة فكوك سفلى في حالة جيدة وجزء من جدار الجمجمة وبعض الأسنان المفككة أما الوثائق البشرية الأخرى العائدة الى إنسان الأطلس فقد اكتشفت بالمغرب الأقصى وتتمثل في قطعتين من فك أسفل عثر عليها بسيدي عبد الرحمن بالقرب من مدينة الدار البيضاء تعود جميع هذه المتحجرات البشرية الى مجموعة

إنسان الأطلس غير أن وثائق المغرب الأقصى باستثناء فك مقلع طوماس يمكن أن تكون أحدث من مكتشفات تيرنيفين وهكذا يبدو أن إنسان الأطلس المغربي قد كون مجموعات انتشرت أثناء فترة العهد الآشولي.

ليس من السهل معرفة الإطار المناخي والوسط الطبيعي والحيواني الذي كان يعيش فيه بشر العصر الحجري القديم الأسفل وخاصة إنسان الأطلس غير أن الفون(La foune)

المكتشفة في عين الحنش وفي مقالع المغرب الأقصى وفي تيرنيفين تسمح بوضع مخطط أولي للوحة ستظل ناقصة إن فون عين الحنش المعاصرة لصناع الحجارة فهي تتضمن أصناف مختلفة معروفة في الزمن الرباعي.أفردت أصناف الزمن الثلاثي في المواقع الأشولية وخاصة منها في مواقع تيرنيفين وأصبحت الحيوانات في معظمها مكونة من فون السبانا الإفريقية كالفيلة وأفراس البحر والضبي والزرافات والأسود الفهود والضباع والذئاب والدببة.